

الفقر والمقاومة في الولايات المتحدة الأمريكية إعادة إحياء «حملة الفقراء»

أدم بارنز *

الفقر في الولايات المتحدة

أكثر من 45 مليون شخص يعيشون تحت خط الفقر الرسمي في الولايات المتحدة الأمريكية. ويرتفع هذا الرقم إلى 140 مليوناً (أي ما يعادل 43% من عدد سكان البلاد) إذا أضفنا الفئات ذات «الدخل المنخفض» أو التي يبلغ مستواها المعيشي ضعف خط الفقر. وفي الوقت عينه، يبقى الاقتصاد الأميركي الأكثر إنتاجية في العالم، إذ بلغ معدل نموه 75% خلال السنوات الـ50 الماضية. وفي عام 2017، كان ثلاثة مواطنين أميركيين ذكور يستحوذون على ثروة إجمالية تبلغ 248,5 مليار دولار أميركي، أو ما يعادل كامل الثروة التي تمتلكها الـ50% الأكثر فقراً من الأسر، أو 160 مليون شخص.

ويطال الفقر في الولايات المتحدة النساء والأطفال والسكان غير البيض أكثر من سواهم، إذ إن حوالي ثلاثة أرباع الذين يعيشون تحت خط الفقر الرسمي هم من النساء والأطفال. كذلك، فإن 9% من الأميركيين البيض يُصنّفون على أنهم فقراء، في حين أن هذه النسبة تبلغ 19% لدى الأميركيين اللاتينيين.

ولكن يتم استغلال النزعات العنصرية والتمييز الجنسي وكره الأجانب من أجل التلاعب بهذه النسب وإحداث الانقسامات في صفوف الفقراء وتضخيمها. نتيجة لذلك، يسود الاعتقاد أن الفقر شبه منعدم في الولايات المتحدة، وأنه في الأماكن القليلة التي ينتشر فيها الفقر، فهو ناجم عن الفشل الشخصي أو يمكن ربطه بالأصول العرقية للفرد أو بلده الأم.

ويشكل الدين أداةً شديدة الفعالية لتفرقة الناس وإخفاء ظاهرة الفقر في الولايات المتحدة. وفي حين أن هذه الأخيرة متنوعة دينياً، إلا أنها متجذرة في التراث اليهودي - المسيحي، الذي كان له تأثير مباشر في رؤية الآباء المؤسسين وقوانين البلاد. ويتم الرجوع حتى يومنا هذا إلى الخطاب والأمثلة التوراتية لصياغة البعد الأخلاقي للقضايا السياسية في المجتمع الأميركي، علماً أنه جرى التلاعب بالتصور السائد حول الدين من أجل خدمة مصالح أصحاب الثروة والسلطة. فالتنظرة المنتشرة حول الدين في الحيز العام إما تنزع عنه الشرعية وتفصله عن السياسة أساساً، أو تشبع تفسيراً للدين يلوم الفقير لفقره، ويحاجج بأن الفقر أمر محتّم، ويدعي أنّ الخلاص لن يأتي إلا بعد المات.

وهناك، بالطبع، فهم أكثر تحرراً للدين في أوساط الفقراء، وهو قد نشأ كثمرة لنضالهم من أجل العدالة، ولكن هذا الفهم مخفي ومقموع كالفقراء أنفسهم.

توحيد الفقراء وإنهاء الفقر

في الانتخابات الرئاسية الأخيرة، فاز دونالد ترامب، نجم تلفزيون الواقع ورجل الأعمال الذي بنى ثروته في القطاع العقاري، بأصوات 26% من الناخبين ليس إلا. 43% من الناخبين لم يصوّتوا إطلاقاً في هذه الانتخابات. والجدير بالذكر أن اندام الثقة هذا في العملية السياسية الأميركية وقادتها، المقرون بالاقتصاد المتهاوي وعقدين من الحروب المستمرة،

تحمل مضموناً سلبياً أو عنصرية أو عدائية تجاه الآخر هي الأكثر لفتاً للانتباه، فصاروا يُكثرون منها. يُطلب من المسيحيين أن يعوّض حضور هذا النوع من المسؤولين قهرهم، وأن يسكت الهواجس التي تنتابهم بشأن مستقبلهم كجماعة.

5. ما أشبه اليوم بحقبة المتصرفية! استمرّت النخبة السياسية ممثلة بالزعماء التقليديين، ورثة المقاطعيين، وبالوافدين الجدد إلى النخبة في المناكفات مع السلطنة العثمانية، حول الضرائب والرسوم التافهة التي كانت تُفرض، وحول أمور أخرى أقل أهمية، فيما كان شعبها يذوب من أمامها بالهجرة بوتيرة مذهلة. عبّرت عن قصور وعباء وعدم مسؤولية قُلّ نظيرها. وحين جاءت الحرب العالمية الأولى والحصار البرّي والبحري، كانت الأغلبية الساحقة من شباب المتصرفية قد هاجرت، ولم يعد باستطاعة من بقوا أن يواجهوا المجاعة. وهي كادت أن تبيدهم عن آخرهم. تمثل هذه النخبة نسخة عن النخبة القاصرة أيام المتصرفية التي تركت شعبها يتبدّد بالهجرة، لأن لا فكر لديها ولا مشروع، ولا قدرة على المبادرة في التنمية.

6. تشتد حدة السؤال الذي يطرحه المسيحيون على وجه الخصوص على أنفسهم، ما العمل؟ ما العمل للتصدي لنزف الهجرة. تجعل الهجرة مستقبل الجماعة هاجساً لكل منهم لا يمكن الخروج من أسره. وقد ورثوا هذا الوطن، ويكتشفون كل يوم كم هو استثنائي وكم هو ثمين بالنسبة إليهم. وكل منهم يعرف أن انهيارهم الديموغرافي وتحولهم إلى أقلية صغيرة، سيهني وجودهم بالكامل، لأن عددهم المتناقص سيحولهم إلى نكرة في القضايا التي تتناول الشأن العام، فيزول لديهم ما يربطهم بارض أجدادهم. التصدي يكون بخيارات لا أحد يقترحها، ولا التيار في موقع تدارسها وتبيان تفاصيلها. بل إن هذا التيار بات يلعب دور نزع - تعبئة في ما يخص الإصلاح. انتظر الناس سنة بعد سنة، وعقداً بعد عقد. يصح الاستنتاج أن مجموعة كهذه لا يمكن الركون إليها في البحث عما يؤمن مستقبل المسيحيين، وأنه لا يجدر التحويل عليها في أمر كهذا.

* أستاذ جامعي

بحاجة لأفكار جديدة تُعطي تسويغاً للدور الذي يجب أن يُسند إليها في قيادة مشروع التنمية. لم ينتبهوا إلى أنها بحاجة لمشروع يتناول إصلاحها بكافة قطاعاتها، لجهة كيفية الانتساب إليها، وإعادة تعريف دورها لكي تصبح أكثر تدخلية.

لم يناقشوا في إمكان أن يكون لبنان دولة صناعية وشروط ذلك. أي في كيفية العمل من أجل أن تُشعّر الدولة سبيرة «تعلّم تكنولوجيا»، يكون القطاع الخاص مركزها، تحت إشراف الإدارة الحكومية. لم يقدم ممثلو التيار في الحكم فكرة واحدة جديدة حول التغيير المطلوب للبنان.

انتقد هؤلاء الممثلون الفساد، وركّزوا عليه كقضية، وأصدروا «الإبراء المستحيل». ارتأى أحدهم كتابته بلغة عامية لتقريبه إلى لغة «العامة».

4. أظهر العونيون منذ «مشروع قانون الانتخابات الأرثوذكسي»، أنهم بدأوا يلجأون إلى التعبئة على أساس الهوية الطائفية، لتعويض إفلاسهم البرنامجي والإصلاحي. انكفأوا إلى شعارات «حماية حقوق المسيحيين»، لإيجاد مبرر لمعاركهم وحضورهم في وسط الساحة السياسية. باتوا يصلون ويجولون تحت هذا الشعار الذي لا يملكون غيره. وهو شعار مفيد من جوانب عدة، ليس أقلها أنه يمكّنهم من توزيع ترصيات ومغانم.

كان يصل إلى المواطن العادي، الذي اعتمد على هؤلاء لاجترار مستقبل جديد للبنان، أنهم يخوضون أسوأ المعارك ويدخلون أسوأ السجالات ويتبنون الخطاب الأكثر إحباطاً لهم، من أجل ضمان نجاحات انتخابية. شعر الناس بأنهم إذا تحققت لهم نجاحات، فلن يعرفوا كيف يستثمرونها من أجل مستقبل أفضل للبنان.

كان يصل إلى المواطن العادي، أنهم غارقون في تناقض فرص الكسب من الموارد العامة، وأنهم يستخدمون انتماءهم المذهبي للتغول على هذه الموارد. وقد استحقوا الوصف بانهم «المحرومون الجدد».

يتحوّل أي مشروع تعيينات في الإدارة العامة لدى هؤلاء إلى مشروع مباحات تطبق على صدور المسيحيين وتزيد على ياسهم يأساً.

وجد بعض ممثلي هذا التيار خلال الفترة الماضية، أن التصريحات التي

حتى استيعاب ما تعنيه خطوة كهذه. يمتلكون القدرة على «الإهانة» وتوجيه «الشتائم» لمعارضهم بسرعة بالغة ضمن منطوق ليس هناك أي «حدود»، هنا نحن «Untouchables» أو «كلى القدرة»، وهذا الأمر أثبتت مراراً أنه غير حقيقي (سواء لتعرض هؤلاء للملاحقة القانونية، أو حتى التعرض للإيذاء الجسدي على الأرض). رغم هذا كله نجح هؤلاء في تكوين «طبقة» حقيقية من المؤثرين العرب الذين بات حتى الإعلام الكلاسيكي محتاجاً لظهورهم ودعمهم له: إذ يحكي أحد «المؤثرين» أنه فوجئ. قبل سنوات مع بداية شهرته - أنّ كثيراً من مشاهير بلاده يرسلون له رسائل «تشجيع» و«محبة» و«طلب الدعم» فضلاً عن روابط إلكترونية لخطاتهم أو برامجهم لنشرها أكثر، أو لتوسيع دائرة مشاهديها. كان من الطبيعي أن «يجن» هؤلاء المؤثرون بسرعة بالغة.

هنا، لم يحتج الغرب ومراكزه إلى تخليق لخطر من أي نوع، كانت المجتمعات التي دخلها «التواصل الاجتماعي» تعطيها ما تريده وأكثر. فإن تصبح أهمية المواضيع مرتبطة بما يحكيه هؤلاء «المؤثرون»، يحصل «تصريح» عنصري مغنبة عادية لم يكن أحد يعرفها من قبل خارج حدود منطقتها الضيقة» على الأهمية الكبرى في وقت تغرق المنطقة بأكملها في صراع عسكري/ ثقافي لم يحدث مثيله من قبل. انصرف المغردون/ اللانكون وبكل قوتهم للتعقيب والتعليق على «تصريح» المغنبة

* كاتب فلسطيني

كلها عوامل قد أدت إلى صحة قوية في الوعي السياسي والالتزام الاجتماعي في الولايات المتحدة، توحى بأن الشعب الأميركي بدأ ينظم جهوده للدفاع عن نفسه.

ومن أبرز الأمثلة عن هذه المقاومة الناشئة في الولايات المتحدة «حملة الفقراء»: دعوة وطنية لصحة أخلاقية» التي أطلقت أخيراً. وتهدف هذه الحملة، المستوحاة من «حملة الفقراء» التي قادها الدكتور مارتن لوثر كينغ عام 1968، إلى تبديد الانقسامات في صفوف الفقراء والمحرومين وتوحيدهم في كنف حركة اجتماعية تسعى إلى تحقيق تغيير جوهري في المجتمع الأميركي.

وتأتي هذه الحملة نتيجة عقود من مراكمة الجهود التنظيمية على المستوى الشعبي، وهي تجمع قادة من مختلف أنحاء البلاد، بينهم: منظّمون مدافعون عن الحق في الرعاية الصحية، وقادة في الحركات البيئية، وجنود قدامى من الجيش انضموا إلى حركة مناهضة الحرب، وعمّال من ذوي الدخل المحدود، ومزارعون، وعمّال منزليون، وطلاب، ومهاجرون، وفقراء من البيض والسود واللاتينيين والآسيويين والسكان الأصليين، وشباب وكبار في السن وسكان المدن والأرياف وأشخاص متدينون وغير متدينين وغيرهم الكثير.

بدأ من 14 أيار/ مايو (تاريخ عيد الأم في الولايات المتحدة)، سيلتزم آلاف الأشخاص في 33 ولاية أميركية على الأقل بتنفيذ عصيان مدني لاعنفي ومنسق يستمر لـ40 يوماً. والهدف من فترة الاحتجاج والعمل والتعلّم هذه هي حتّ الأئمة على خوض نقاش جديد حول الفقر والرفاه في مجتمعنا. أما الهدف البعيد المدى فهو إنتاج قادة لحقبة طويلة متوقعة من النضال الاجتماعي لمواجهة شرور المجتمع الأميركي والقضاء عليها.

حركة عالمية

نحن ندرك أن النضال من أجل العدالة والكرامة يمتد خارج حدود الولايات المتحدة، فالقوى التي تنتج هذا الكم من الفقر والموت والانحطاط في المجتمع الأميركي تسبّب ويلاط مشابهة وأشد وطأة لشعوب أخرى حول العالم. لذا، فالعدو المشترك بيننا وبين هذه الشعوب هو النظام الذي يدعم مصالح أقلية صغيرة عبر إفقار مليارات الناس.

وكجزء من نضالنا في الولايات المتحدة، بدأنا ببناء علاقات مع الكثير من الأخوة والأخوات الذين واللواتي يناضلون ويناضلن من أجل الكرامة والعدالة من مختلف أنحاء العالم. ونحن نتعلّم إلى تعزيز هذه العلاقات وترسيخها كي نعمل معاً لبناء حركة عالمية نحتاج إليها جميعاً.

(لإطلاع على المزيد من المعلومات حول «حملة الفقراء» والنضال لإنهاء الفقر في الولايات المتحدة: www.kairoscenter.org و www.poorpeoplescampaign.org)
* منسق برنامج الحقوق والأديان في «مركز كايروس للأديان والحقوق والعدالة الاجتماعية»

خلال مسيرة في مدينة رالي، عاصمة ولاية كارولينا الشمالية

